مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد 09 ،العدد 02 ،جوان 2024، ص - ص:377-397

المدرسة المستنصرية ببغداد دراسة أثرية وصفية

Al-Mustansiriya School in Baghdad An archaeological descriptive study

دة/ هجيرة تمليكشت(*)
معهد الآثار-جامعة الجزائر2، (الجزائر)، hadjira.tamelikecht@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 23 /2021/05 تاريخ القبول: 20 /2024/06 تاريخ النشر: 27 /2024/06

الملخص

عرف العالم الاسلامي اهتماما بالغا بالعلم و التعلم بدليل أن اولى آيات القرآن الكريم تحث على طلبه ، ولقد مر التعليم بمرحلتين هامتين حيث ظهرت في البداية المؤسسات التقليدية من: دور السكن، المساجد، الكتاتيب، المكتبات، دور الاستشفاء، الخوانق، الأربطة، و الزوايا.

وبعد أن تبلورت فكرة التعليم لدى المسلمين، أنشئت مِؤسسات جديدة لتدريس مختلف العلوم و المذاهب الشرعية عرفت بالمدارس، حيث ادت دورا حضاريا و حلت محلها في الوقت الراهن الجامعات ، يعود ظهورها الأول الى بلاد الرافدين التي شكلت مهد العلوم منذ القدم ، أولها في القرن 5هـ/11م التي أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك ببغداد ،ثم المدرسة المستنصرية التي بناها الخليفة المستنصر بالله العباسي سنة 625هـ/1225م التي تعتبر النموذج الأكمل والمتطور لنظام المدارس

سنحاول من خلال هذا المقال التعريف بهذه المدرسة من أثرية وصفية، وابراز دورها الحضاري خلال فترة تأسيسها..

الكلمات الدالة: المدرسة المستنصرية، التعليم، بغداد، العهد العباسي، المستنصر بالله.

Abstrac:

The Islamic world knew a great interest in science and learning, as evidenced by the fact that the first verses of the Qur'an encourage its request. Education has passed through two important stages. At the beginning, traditional institutions appeared: housing homes, After the idea of education was crystallized among Muslims, new institutions were established to teach various sciences and legal sects, known as schools, as they played an important civilizational role, and they were replaced by universities at the present time. mosques, katatib , libraries, hospital centers, khawaniq ,Arbitat ,Zawaya.

* المؤلف المرسل.

Its first appearance dates back to Mesopotamia, which was the cradle of science since ancient times, the first in the 5th century AH / 11AD CE, which was established by the Seljuk Minister Nizam al-Mulk in Baghdad, then the Mustansiriya School built by the Caliph Al-Mustansir Billah Al-Abbasi in 625 AH / 1225 AD, which is considered the most complete and developed model of the school system.
Through this humble research paper, we will try to define this school from an archaeological and descriptive study, and highlight its civilizational role during its founding period.

Keywords: Al-Mustansiriya school, education, Baghdad, the Abbasid era, Al-Mustansir Billah.

1. مقدمة:

يكتسي التعليم اهمية بالغة في حياة الأفراد و المجتمعات ، و هو الوسيلة المثلى في تغيير المسار الحضاري للأمم، ونظرا لأهميته، فقد حث ديننا الاسلامي الحنيف على العلم و مراكز الدراسة و التدريس بدليل أن أولى آيات القرآن الكريم نزلت على الرسول ﷺ تحثه على القراءة حيث قال تعالى: " اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم[1]"، هذا فضلا عن العديد من الآيات التي ترفع من شأن العلم و العلماء فمنذ الأيام الأولى للرسالة الاسلامية شرع ا لمسلمون بالتعلم و كان الرسول أول معلم في الاسلام و أول الداعين الى طلبه ، لهذه الأسباب جاء اهتمام المسلمين ببناء مراكز التعليم تطورت حتى ظهرت المدارس.

ويطرح الموضوع الاشكالية التالية:

ما هي اهم الخصائص المعمارية للمدرسة المستنصرية، وما هو دورها الحضاري؟

وللإجابة على هذه الاشكالية قامت دراستنا على المنهج الوصفي الأثري المتمثل في دراسة مخطط المدرسة ومختلف مرافقها وابراز وظائفها.

و بالتالي تناولنا الموضوع بالتعريف بالمؤسسات التعليمية الأولى في الاسلام ،ثم اهم الخصائص المعمارية للمدارس ،بعدها قمنا بدراسة وصفية للمدرسة المستنصرية ونظام التعليم

بها باعتبارها اول مؤسسة حكومية اسست لغرض التعليم و التي تعتبر نموذج للمدارس الاسلامية ودعمنا ذلك بصور و اشكال توضيحية.

الدراسات السابقة:

نظرا لأهمية التعليم و التعلم في الاسلام، فقد حظيت هذه المؤسسات بعدة دراسات اهمها طه الولي ،" التعليم عند المسلمين في بداياته وتطوراته عبر مراحله ومناهجه ومؤسساته"، مجلة الفكر العربي، العدد 20، آذار(مارس) و نيسان(أبريل) 1981

كامل حيدر، العمارة العربية الإسلامية نشوء المدارس الإسلامية و خصائصها في العصر العباسي

ناجي معرف، المدارس المستقلة في الاسلام، مطبعة الأزهر، بغداد، 1966 وكانت المدرسة المستنصرية من بين المؤسسات التي تم التطرق اليها[2]

2.مراكز التعليم الأولى في الاسلام:

بعد ظهور الاسلام بدأ الناس(يدخلون في دين الله أفواجا3) ، فاشتد الطلب على العلم فتعددت مراكز التعليم و كانت البداية في دور السكن و المساجد و الكتاتيب ودور القرآن، ودور العلم و الحكمة وفي دور الاستشفاء (البيمارستانات) و ايضا في القصور و حوانيت الوراقين، وتعلم الناس أيضا في البادية و الأسواق و في كل مكان وجدوه مناسبا للتعليم ،وبعد أن تبلورت فكرة التعليم في المجتمع الاسلامي، ظهرت الى الوجود مؤسسة تعليمية جديدة عرفت "بالمدرسة " وقبل تطرقنا لسرد المدراس الأولى يجدر بنا التعريف بالمدرسة.

فالمدرسة يقصد بها تلك المنشأة البنائية التي اعدت لاستقبال التلاميذ لتلقي العلم على يد المدرسين[4].

ويؤدي لفظ "درس" معاني عديدة ، فيأتي بمعنى قرأ، كما ورد في القرآن الكريم " ودرسوا مافيه" أي قرأوا

مافيه[5]، ويقصد بها المنشاة البنائية التي اعدت لاستقبال التلاميذ الذين يقصدونها لتلقي العلم على ايدي اساتذة مختصين يطلق عليهم اسم " مدرسين"[6] .

3 .تاريخ ظهور المدارس:

بعد أن تبلورت فكرة التعليم لدى المسلمين ، أنشئوا مِؤسسات جديدة لهذا الغرض(أي تدريس مختلف العلوم) عرفت بالمدارس، والتي حلت م حلها في الوقت الراهن الجامعات ، كما ألحقت بمساكن للغرباء من المدرسين والطلبة وخصصت أوقافا على نفقتها وجعلت بها خزائن للكتب ، كما أسست هذه المدارس لنشر المذاهب السنية والوقوف في وجه المذهب الشيعي وعرفت بالمدارس الكبرى7،وكانت أولها في القرن 5هـ/11م التي أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك ببغداد سنة 459هـ ،ثم انتشرت غربا حتى وصلت مصر وبلاد المغرب والأندلس ، وقد شهد العصر العباسي مجموعة من الخلفاء ذوي الشخصيات العلمية الواعية ، فكان لتشجيع هؤلاء الخلفاء للحركة العلمية اثرها البارز في ازدهارها[8].

4.تخطيط المدارس:

أما بالنسبة لتخطيط المدارس فهو مستمد من نظام المسجد الجامع، مع إقامة بيوت لسكن فريق من الأساتذة والطلاب (كما يبدو أنها تأثرت بالا واوين**الساسانية)، وأهم المواصفات التخطيطية للمدارس هي:

_تخطيط المدرسة مستطيل أو مربع الشكل يتوسطه فناء مكشوف تحيطه مرافق المدرسة و يحتل الفناء أكبر مساحة من المخطط العام للبناية.

_ وجود الأواوين المطلة على الصحن ،التي يختلف عددها من إيوان إلى إيوانين إلى أربعة أواوين[9].

_ وجود بيت الصلاة في الجهة القبلية بحيث يوفر إمكانية الاستفادة من الصحن في أداء الصلاة عند اكتظاظ المصلين.

_ وجود حجرات وغرف للسكن مع قاعات كبيرة للتدريس.

_أما الأركان الواقعة بين ضلعي المدرسة فكانت تشمل على المدخل و فيها سلم يوصل إلى الطابق العلوي ومساكن الطلاب و الأساتذة.

5.المدرسة المستنصرية:

هي أول جامعة عنيت بتدريس الفقه والحديث و القرآن، والرياضيات والأدب و الميراث و الطب، كما أنها أول مدرسة جمعت فيها الدراسات الفقهية السنية على المذاهب ا السنية الأربعة(الحنفي، الشافعي، الحنبلي و المالكي)10 وقد وردت اشارة الى ذلك على الكتابة الآجرية التي تعلو مدخلها الرئيسي : ' .....و أمر ان تجعل المدرسة للفقهاء على المذاهب الأربعة....' و ألحقت بها مكتبة كبيرة أنشأها الخليفة المستنصر بالله العباسي بالإضافة إلى ساعة مائية وكذلك بيمارستان.

6.تاريخ التأسيس *: يتفق المؤرخون أن تأسيسها تم سنة 625هـ/1227م،أما تاريخ الانتهاء فتشير الكتابة التأسيسية على واجهة المدخل الرئيسي إلى سنة 630هـ/1234م،و افتتحت رسميا في السنة الموالية، وقد أسست من طرف الخليفة العباسي المستنصر بالله، و أنفق على بناءها أموالا طائلة، وكان المشرف على البناء مُحَمَّد بن العلقمي و أخيه أحمد [11]

7.التعريف بصاحب الأثر:

هو ابو جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله مُحَمَّد بن الناصر أحمد العباسي، امه جارية تركية تسمى اخشو او شيرين ولم تدرك خلافته، ولد يوم الاربعاء ثلاثة صفر سنة 588هـ/1193م بويع بالخلافة يوم توفي والده يوم الجمعة 13 شهررجب سنة 623هـ/1226م امر بإنشاء مدرسة وهي المستنصرية على شاطىء دجلة، ووقف عليها أوقافا حاصلها نحو ستين ألف دينار، وله الكثير من الخيرات والصدقات، توفي يوم الجمعة عاشر جمادي الآخرة سنة وفاته سنة 640هـ/1242م.كانت مدة خلافته 16 عاما[12].

.موقعها : تقع المدرسة في جانب الرصافة شرق مدينة بغداد على ضفة نهر دجلة ، وهي ما تزال قائمة إلى اليوم.

موقع المدرسة المستنصرية عنgoogle earth/

9.المخطط العام :تتربع المدرسة على مساحة مستطيلة الشكل تقريبا تقدر بحوالي4836 م2،تمتد واجهتها على نهر دجلة لمسافة تبلغ 105م،عرض واجهتها الشمالية 20،44م،أما الواجهة الجنوبية 80،48م .

يتوسطها صحن مستطيل مكشوف، تحيط به الاواوين والحجرات والقاعات و الغرف وهي موزعة على طابقين مخصصة للتدريس و الإدارة و مخازن الكتب، بالإضافة إلى مطبخ، حمام، دورات مياه وإقامة بعض المدرسين الأجانب أما الغرف فهي مخصصة لإقامة الطلبة. فقد قسمت الى أربعة اقسام مستقلة، قسم لكل مذهب من المذاهب السنية لأربعة يرأس كل منها عالم يتولى تعليم 75طالب، و يتلق العلماء الأربعة راتبا شهريا، كما يمنح لكل طالب 300دينار ذهبي، اضافة الى مايلزمهم من مأكل ومشرب [13].

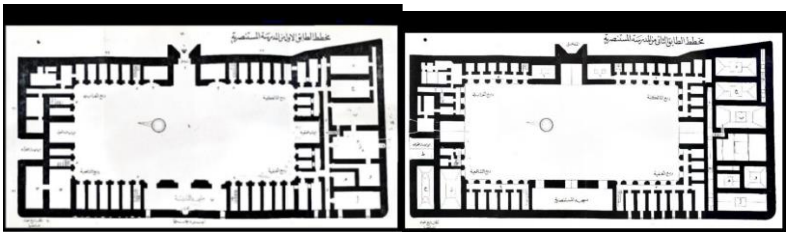

شكل رقم1: مخطط الطابق الأرضي للمدرسة وتوزيع مرافقها شكل 2:مخطط الطابق الأول للمدرسة.

عن/ كامل حيدر

10.أهم مرافقها:

1.10.المداخل: يتم الدخول إلى المدرسة عبر أربعة مداخل موزعة على الشكل التالي:

أ.المدخل الرئيسي :و هو أكبر المداخل وأهمها و أكثرها ارتفاعا ، يتوسط الجدار الشمالي، ويبرز نحو الخارج ب 5،3م، ارتفاعه حوالي 16م ،واجهته مستطيلة محاطة بإطار هندسي يحصر بداخله عقود مدببة ، أما فتحة الباب فهي مستطيلة ارتفاعها حوالي 5،3م، وعرضها 02م يعلوها عقد مدبب به زخارف هندسية يعلو هذا العقد النص التأسيسي ويفصل بين هذا الباب وصحن المدرسة سقيفة(دركاه) ارتفاعها حوالي 09م وعرضها 80،5م، تعلوها قبة مدببة ، وتطل على الصحن بعقد مدبب يقوم على دعامتين من الآجر، وفي مدخل المدرسة المستنصرية أقيمت الساعة العجيبة التي أوردت أوصافها بعض المراجع العربية و كانت الساعة تعمل لإرشاد الناس على أوقات الصلاة وتعمل ليلاً ونهاراً وبأسلوب علمي متطور مما يدل على مدى ما وصل إليه العلماء العرب من تطور في ذلك الزمان14.

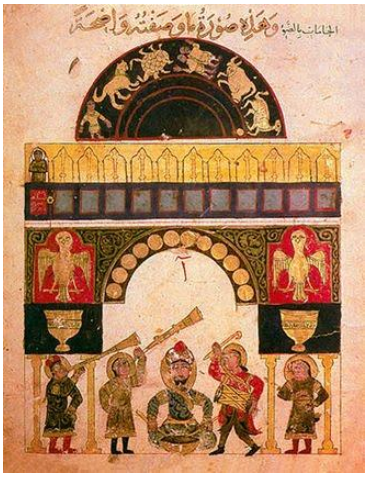

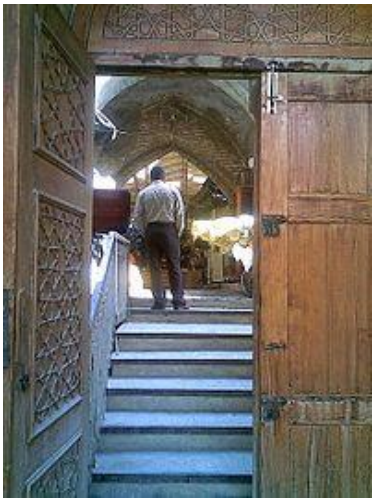

المدخل الرئيسي للمدرسة ساعة المدرسة

ب.مدخل يقع في الطرف الغربي للجدار الشمالي ، بالقرب من الزاوية الشمالية الغربية ويؤدي إلى إحدى الحجرات

ج.مدخل يقع في وسط الضلع الغربي ، يؤدي مباشرة إلى الإيوان الغربي المطل على الخارج.

د.مدخل يطل على نهر دجلة ، يقع في نهاية الرواق الكبير الذي يفصل القاعات السبع الكبيرة و مجموعة الحجرات المطلة على الصحن.

2.10:الصحن: مستطيل الشكل طوله 40،62م،أما العرض 40،27م وبذلك تكون مساحته الإجمالية 1710م2 (أي أكثر من ثلث المساحة الإجمالية للمدرسة)، كانت أرضيته مبلطة بالآجر وكانت تتوسطه نافورة كبيرة يأتيها الماء من نهر دجلة مباشرة.

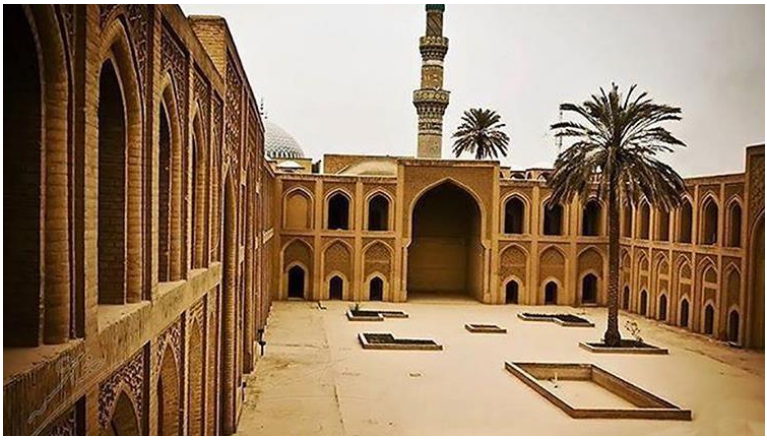

منظر عام للمدرسة وتبدو المرافق المفتوحة على الصحن مكشوف

3.10:الأواوين[15]: تشمل المدرسة على ايوانين متواجدان بالواجهتين الشرقية والغربية يفتحان على الفناء أما الثالث فيتوسط الواجهة الغربية ويطل على الخارج،فكان أيوان القبلة الايمن للفقهاء الشافعية والربع الثاني على اليسار للفقهاء الحنفية والربع الثالث يمنة الداخل للحنابلة والربع الرابع يسرة الداخل للمالكية.. وفي كل رواق مدرّسان ولكل منهما نائبان معيدان وستون طالباً، وهي متشابهة إلى حد ما ، مستطيلة الشكل يغطي كل منها قبة مدببة ذات زخارف نباتية وهندسية وتفتح على الصحن بعقود مدببة تتخللها زخارف هندسية تحصر فروع نباتية تقوم على دعامتين مندمجتين من الأجر وهي ترتفع بارتفاع الطابقين .

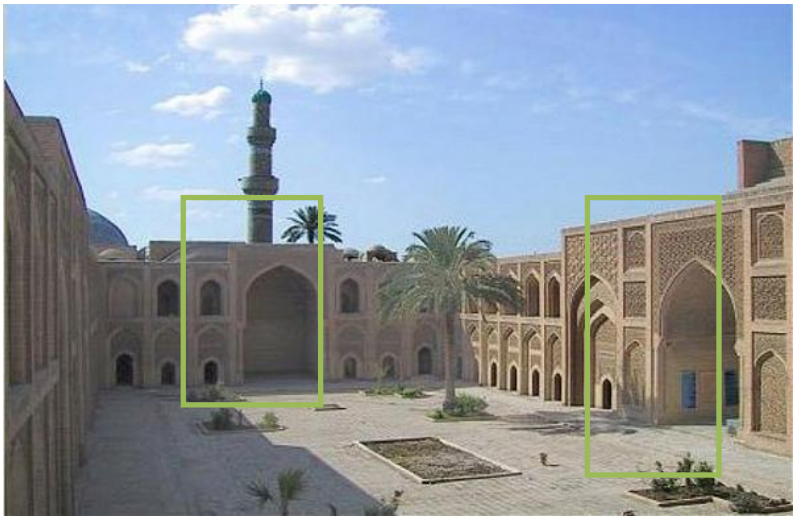

الأواوين المفتوحة على الصحن

4.10:المسجد: ويحتمل أنه الإيوان الرابع، يقع وسط الواجهة الجنوبية مقابل المدخل الرئيسي يأخذ شكلا مستعرضا ويفتح على الصحن مباشرة بواسطة 03 عقود أوسعها العقد المركزي ،يفصل بين هذه العقود دعامتين ، تقدر مقاساتها ب 23م طولا و 90،5م عرضا، يتوسط جدار القبلة محراب (الصورة رقم)، كما يشمل هذا الجدار على نافدتين تطلان مباشرة على نهر دجلة وهي أكبر نوافذ المدرسة، سقفها الحالي مستو وهو من تجديدات العصر الحديث (أغلب الظن أنه كان يغطيه قبو كباق أواوين المدرسة) .

محراب مسجد المستنصرية

5.10:غرف المدرسة: كانت تشمل المدرسة حوالي100 غرفة من قاعات و حجرات

أ.القاعات: بالمدرسة 09 قاعات كبيرة ترتفع سقوفها بارتفاع الطابقين، تتوزع على الواجهتين الشرقية والغربية،

07 منها بالواجهة – الشرقية ،و 02 بالزاوية الجنوبية –الغربية من المدرسة، كانت تستعمل للتدريس و في اعلى جدران كل قاعة نجد نوافذ في كل واجهة لإضاءة هذه القاعات .

ب.الحجرات: يحيط بالصحن حجرات مختلفة الأشكال و الأحجام ، أكبرها اثنان تقعان على يمين وشمال المدخل الرئيسي أما باق الحجرات فتتوزع على أركان المدرسة على مستوى الطابقين على النحو التالي:

المجموعة الأولى: تقع على يمين ويسار المدخل الرئيسي عددها 15حجرة موزعة على النحو التالي:

09 بالجهة اليمنى و 06 بالجهة اليسرى

المجموعة الثانية: تقع على يمين ويسار المحراب عددها 14 حجرة موزعة على النحو التالي:

06 بالجهة اليمنى و 08 بالجهة اليسرى

المجموعة الثالثة: تقع على يمين ويسار الإيوان الشرقي: و عددها 06: نجد 02 بكل واجهة

المجوعة الرابعة: تقع على يمين ويسار الإيوان الغربي و عددها 04: نجد 02 بكل واجهة

الغرف: وهي مخصصة لسكن الطلبة تتواجد بالطابق الأول تتقدمها أروقة تطل على الصحن بواسطة نوافذ (كل غرفة تتقدمها نافذة)وهي تتوزع إلى مجموعات:

المجموعة الأولى: موزعة على يمين ويسار المدخل الرئيسي و عدها 15 غرفة موزعة على النحو التالي:

09 غرف في الجهة اليمنى و 06 غرف في الجهة اليمنى

المجموعة الثانية: تقع على يمين ويسار الإيوان الشرقي و عددها 14 غرفة موزعة على النحو التالي:

06 غرف في الجهة اليمنى و 08 غرف في الجهة اليسرى.

المجموعة الثالثة: موزعة على يمين ويسار الإيوان الشرقي وعددها06: نجد 03 غرف في كل جهة.

المجموعة الرابعة: تقع على يمين ويسار الإيوان الغربي وعددها 04:نجد 02 غرف في كل جهة.

توزع القاعات و الحجرات على طابقي المدرسة

6.10:الأروقة: نجدها في الطابق الأرضي تفصل بين القاعات الكبيرة المتواجدة بالواجهة الشرقية و مجموعة الحجرات

المطلة على الصحن ارتفاعها 09م تتخللها 04 فتحات للإضاءة والتهوية كما تتصل بالصحن بواسطة ممرين جانبيين ، أما بالطابق فهي تتقدم الغرف وتفتح على الصحن بواسطة نوافذ و هي ذات سقف برميلي.

7.10:السلالم: يتم الصعود إلى الطابق الأول عن طريق 6 سلالم تؤدي إلى الأروقة التي تتقدم الغرف. اثنان منها على يمين ويسار المدخل الرئيسي ،واثنان على يمين ويسار قاعة الصلاة ، واثنان على يمين ويسار الإيوان الغربي المطل على الصحن.

أما الصعود إلى سطح المدرسة فيتم عبر أربعة سلالم، وهي الاثنان المتواجدان على يمين ويسار المدخل الرئيسي و الاثنان المتواجدان على يمين ويسار المسجد.

11:اقسام المدرسة ومرافقها:

1.11:البيمارستان: و من أهم أقسامها البيمارستان الواقع أمام مدخل المدرسة في إيوان عرف بإيوان الساعات، مخصص للطبيب المعالج للمدرسين والطلبة.

2.11:مدرسة الفقه: تحتل القسم الأكبر من المدرسة، خصصت لتدريس المذاهب الأربعة، الى جانب علوم الفلك و الرياضيات و الحديث

3.11:اماكن الدراسة: اختلف الباحثون في تحديد اماكن الدراسة ، ولا بد ان نشير الى انه لا يوجد سوى ايوانين بالمدرسة

، كما يستبعد الدراسة في الأواوين لأنها مفتوحة على المطر في فصل الشتاء و على الشمس في فصل الصيف ، وعليه يرجح ان تكون الدراسة قد تمت في بعض القاعات الموجودة في الجهة الشرقية من المدرسة لأنها معزولة عن الضوضاء ولأن مساحتها كبيرة [16]

4.11:اماكن الناظر و الاداريين:

يحتمل ان القاعة الرابعة الكبيرة و الواسعة خصصت كمكتبة و ذلك لقربها من قاعة الناظر والإداريين، و يلاحظ أن بها أربعة مداخل ليسهل عملية الدخول و الخروج من المكتبة.

5.11:المخزن:

يحتمل ان تكون القاعتين الثامنة و التاسعة بالزاوية الجنوبية الغربية للمدرسة قد خصصا كمخزن للمؤن و المواد الغذائية، و الأخرى للأثاث و الملابس و ادوات الكل وغيرها.

6.11:المطبخ:

ربما مكانه في الحجرتين الواقعتين الى الشمال من الايوان الداخلي الغربي و يلاحظ ان الجدار الشمالي للحجرة الاولى به نافذتين صغيرتين ربما خصصتا للتهوية المطلوبة توفرها في المطابخ

7.11:الحمام:

نجد مواصفات الحجرة الواقعة في الزاوية الشمالية–الغربية للمدرسة مناسبة لكي تستخدم حماما، كونها تضم في جهتها الشمالية حجرتين صغيرتين ربما خصصتا لاستحمام ذوي الشأن لانهما منعزلتين عن اعين الآخرين[17]

8.11:دار القرآن:

اشار المؤرخون الى انها تقع بجوار المدرسة في حدها الأعلى، و من المحتمل جدا ان تكون قد شغلت الإيوان الموجود و سط الضلع الغربي للمدرسة ، و المطل على الخارج

9.11:دار الحديث:

ذكر الاربيلي خبرا مفاده ان المستنصر بالله شرط ان يكون في دار الكتب ، عشرة انفس يشتغلون بعلم الحديث النبوي الشريف، و لعل ما اشار اليه ابن الفوطي من شرط ان يقرأ الحديث كل يوم ست و اثنين و خميس، يرجح وجود هذه الدار مع دار الكتب في قاعة واحدة فكانت تستعل لمدة ثلاثة ايام لتدريس الحديث.

كان للمدرسة جهاز اداري على راسه الناظر، و يعتقد ان القاعة السادسة بالجهة الشرقية قد خصصت للناظر لأنها أصغر حجما من القاعات الأخرى و لأنها متميزة بزخارفها الأجرية .

وربما القاعة الخامسة التي بجوارها قد خصصت لجلوس الإداريين ليشرف عليهم الناظر و يستدعيهم متى شاء.

12:أهم مواد بناء المدرسة: استعمل في بناء المدرسة مادة الآجر الرافيديني الأصفر المتقن و المتعدد الأشكال و الأحجام، الى جانب الطابوق والجص.

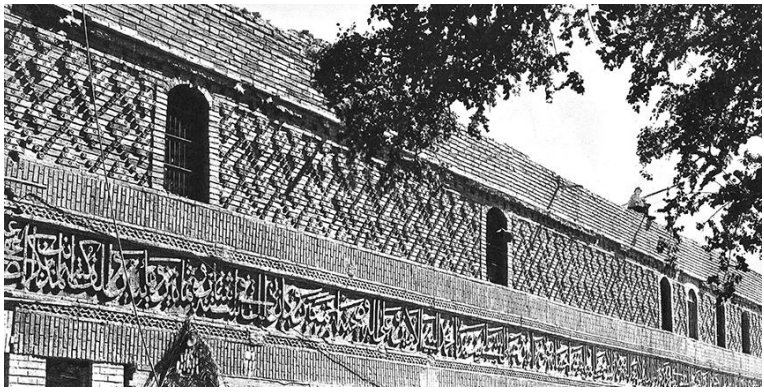

احد جدران المدرسة و تبدو مادة الاجر

13:اهم العناصر المعمارية

العقود: استعملت العقود الحذوية المنكسرة اي المدببة بشكل واسع ، سواء على الفتحات كواجهة الأواوين، او تعلو النوافذ ،كما استعملت العقود الصماء لغرض تزييني

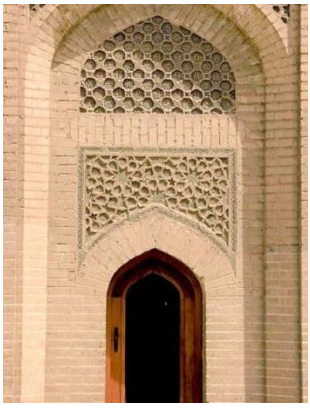

عقود حذوية منكسرة تعلو الفتحات/ اطارين هندسيين من اطباق نجمية ومضلعات سداسية

اطباق نجمية تحصر بداخلها زخرفة من التوريق العربي

14.نظام التسقيف: من الداخل برميلي من الخارج مسطح، و تتخلله قباب صغيرة و هي تعلو قاعات التدريس و تتخللها في كل ركن من اركانها الأربعة نوافذ كانت تساهم في ادخال الضوء و التي كان يتم تدريس الطلبة عليها وذلك حتى وقت المغرب

الزخارف: تتميز المدرسة بغناها الزخرفي المنفذ بواسطة الآجر على هيئة حشوات مختلفة الأشكال تضم زخارف نباتية وهندسية نفذت بالحفر، قوامها مراوح نخيلية و زهور ، الى جانب الأطباق النجمية ، و الفروع النباتية المتشابكة "الأرابيسك" ، وكما احتوت المدرسة على كتابات كثيرة بخط الثلث أهمها النص التأسيسي الذي يعلو المدخل الرئيسي، و الواجهة الخارجية للمدرسة .

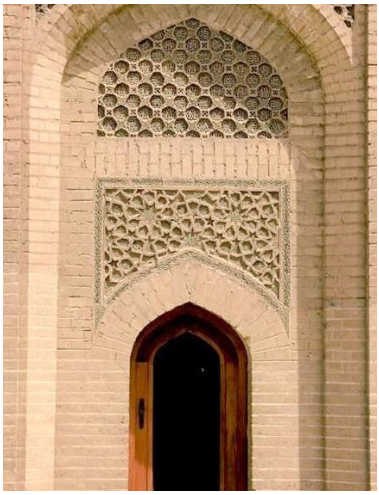

زخرفة هندسية قوامها اطباق نجمية تعلو احد ابواب المدرسة.

15.نظام التعليم بالمدرسة المستنصرية.

كانت المدرسة المستنصرية ذات نظام داخلي ، بل إنهم كانوا يحصلون على دينارين شهريًّا، إضافة إلى وجبات الطعام والملابس. وكان يدقق في اختيارهم من بين الطلاب النابهين، وكان لكل مذهب من المذاهب الفقهية مدرس يعاونه أربعة معيدين، وفي القسم المخصص لكل مذهب يجلس الشيخ على مقعد مفروش بالسجاد، وقد ارتدى حلة سوداء وإلى يمينه معيدان، وعن يساره مثلهما لإعادة ما يمليه الشيخ من الدروس. الوسائل المعينة على الدرس وكانت المدرسة المستنصرية مجهزة بما يعين الطلاب على الدرس والتحصيل ويساعد الأساتذة على الشرح والتوضيح؛ فألحق بالمدرسة مكتبة عامرة أهداها الخليفة المستنصر إليها، وكانت تضم ثمانين ألف كتاب بالإضافة إلى ما حُمل عليها بعد ذلك، وكانت دار الكتب هذه يقوم عليها خزنة من العلماء الأفذاذ والمؤرخين المشهورين، وتضم عددًا من الناسخين و المناولين للكتب الذين يقومون على خدمة الطلاب. وضمت المدرسة مستشفى يدرس فيه الطب؛ وأوقف علي مدرسته وقفًا كبيرًا ؛فقد خصص لنظارها وشيوخها ومدرسيها ومعيديها وأطبائها وطلابها وكل العاملين بها ما يكفيهم من الطعام والشراب والنفقات، ورتّب لهم البيوت والمساكن، وكانت الأطعمة توزع يوميًّا مطبوخة على طلابها المثبتين في المدرسة، بالإضافة إلى ما كان يجهز لهم من

الحصر والسراج والزيت والورق والحبر والأقلام، وكان يقدم لهم في الصيف الماء البارد وفي الشتاء الماء الساخن، ، وكان القائمون على وقف المستنصرية يتقاضون في كل شهر مرتبات نقدية من الدنانير الذهبية تختلف باختلاف منازلهم وأقدارهم.

16. الدراسة بالمستنصرية :

ظل التدريس قائما بالمدرسة المستنصرية أربعة قرون منذ أن افتتحت في سنة (631هـ / 1233م) حتى سنة (1048هـ / 1638م)، وإن تخلل ذلك فترات انقطاع، فقد تأثرت المستنصرية بحملة المغول بقيادة هولاكو عام 656هـ / 12588م بعد فترة وجيزة من بنائها، فدمرت مكتبتها وهجرها عدد من علمائها إلى مصر وبلاد الشام وغيرها. لكن التدريس بقي قائما فيها طوال أربعة قرون رغم فترات من التوقف. حيث كانت الأولى أثناء الاحتلال المغولي لبغداد سنة (656هـ / 1258م)، وتعطلت الدراسة فيها قليلًا، ثم عاد إليها نشاطها من جديد؛ حيث استؤنفت الدراسة سنة (656 هـ / 12599م)، لنحو قرن ونصف قرن. ثم تعطلت الدراسة بها وبغيرها من مدارس بغداد؛ بسبب تدمير تيمورلنك لبغداد مرتين، الأولى سنة (795هـ / 1392م)، والأخرى في سنة (803هـ / 1400م)؛ وفقدت المستنصرية في هذه الهجمة الشرسة مكتبتها 18، وظلت الدراسة متوقفة نحو قرنين من الزمان حتى افتتحت للدراسة سنة (998هـ /1589م)، ولكن لم تدم بها طويلا فعادت وأغلقت أبوابها سنة (1048هـ / 1638م).

17.أهم أعمال الصيانة و الترميم: ظلت تؤدي رسالتها كمدرسة لغاية 940هـ-1533م، حيث تحولت إلى حصن ثم ثكنة فمخزن لملابس الجنود ، فمسكنا للجنود و بقيت حتى عام 1364هـ/1944م دائرة للجمرك، ، ثم مخزنا لحفظ الآثار ، ثم اتخذت كمعلم أثري.

وقد تمت بها عدة أعمال صيانة من طرف كل من مديرية الآثار العراقية و المؤسسة العامة للآثار و التراث ، انتهت الأولى سنة 1914م، ثم استأنفت عام 1945م، إلا أنها لم ترمم

كليا ، فاستؤنفت الأعمال سنة 1960م، تم خلالها إعادة أكبر قدر من بناية المدرسة إلى حالتها الأصلية[19].

بوابة المدرسة المستنصرية 1920 ... كانت تستخدم كخان لتخزين البضائع قبل ان تتحول الى معلم تأريخي ..

عن/ موقع Google

18.خاتمة:

مما تقدم يتبين لنا مدى براعة الفنان و المهندس في تصميم المدرسة المستنصرية ، و التي اصبحت تشكل طرازا معماريا يحتذى به في باق المدارس الاسلامية مشرقا ومغربا، كما ادت دورا حضاريا هاما ، حيث درست بها مختلف العلوم الى جانب العلوم الفقهية ، اضافة الى نشر المذهب السني، وكان يقصدها الطلاب آنذاك من مختلف بقاع العالم ، كما اشتهرت بمدرسيها حيث اختير للتدريس بها كبار الشيوخ وأئمة العلم في العراق والشام ومصر وغيرها ممن حصلوا على إسناد عال، أو انتهت إليهم رئاسة العلم أو عرفوا بالبحث والدرس العميق، ويعاون هؤلاء المدرسين معيدون نابغون :شمس الدين ابن الصبار، ابو علي بن الحكم المعروف بالسنجق البرزبي من اعلام الطب ،ابن الكتبي الشافعي المؤرخ المعروف بابن النجار البغدادي.

و مازالت محافظة على مخططها الاصلي ومرافقها ، رغم العوامل البشرية و الطبيعية التي تعرضت لها عبر الزمن وذلك بفضل اعمال الصيانة و الترميم التي توالت عليها.

و إنها لعبت و لا تزال تلعب دورا راجحا في تاريخ الاسلام، والذي يهدف إلى حماية الدين و الحفاظ على الثقافة الإسلامية في كل أرجاء العالم المعمورة.

19. هوامش:

[1] سورة العلق، الآية من 1 الى6

[2]كما كانت دراستنا الاكاديمية لنيل شهادة الماجستير في الآثار الاسلامية حول موضوع المدارس وجاءت موسومة ب: **"مدرسة السلطان ابي عنان فارس المتوكل على الله بمدينة فاس"**، معهد الآثار ،جامعة الجزائر، 2002

[3] سورة النصر الآية 2

طه الولي ،" **التعليم عند المسلمين في بداياته وتطوراته عبر مراحله ومناهجه ومؤسساته**"، مجلة الفكر العربي، العدد 20[4]، آذار(مارس) و نيسان(أبريل) 1981، ص 18

[5]حسين أمين، **المدرسة المستنصرية**، مطبعة شفيق 1960، ص20

[6]طه الولي، مرجع سابق ،ص18.

[7]ظهرت قبلها المدارس الصغرى بنيسابور ببلاد فارس في عهد حكم ألب آرسلان قبل نهاية القرن الرابع الهجري، كما انشئت مدارس أخرى أثناء حكم ابنه "ملك شاه اولها مدرسة حسان القرشي المتوفي سنة 349هـ/964م ، الا انها لا تمتلك نفس مواصفات المدارس الكبرى.

[8]د.مفتاح يونس الرباصي، **المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول(132_232هـ/749–846م)**، منشورات جامعة 7 أكتوبر، مصر، ط 1،2010 ،ص 56

[9] ظهرت في بلاد لمغرب الاسلامي قاعات الدرس بدلا من الأواوين ، وهي تختلف عنها في الشكل باعتبار أن الإيوان يكون مفتوح الوجه معقود في أعلاه. فربما تأثروا بإيوان كسرى الذي بقي قائما حتى العهد العباسي ووصفه الشاعر البحتري ، أما قاعة الدرس فهي ذات واجهة مغلقة تتقدمها باب.

[10]كامل حيدر، مرجع سابق، ص 74

[11]ابن الفوطي البغدادي(ت 723هـ)، **مجمع الآداب في معجم الألقاب** ، تحقيق مُحَمَّد الكاظم ،مؤسسة الطباعة و النشر ، ايران، ط1416،1هـ،ج3 ص53 و 57

[12] ابن الفوطي البغدادي(ت 723هـ)، مصدر سابق ، ج5 ، ص220-221.

[13] رفيدة اسماعيل عطا المنان اسماعيل، **بيت الحكمة البغدادي و أثره في الحركة العلمية في الدولة العباسية (132-656هـ/754-1358م)**، بحث مقدم الى جامعة الخرطوم لنيل درجة الماجستير الآداب في التاريخ، جامعة الخرطوم،2009،ص131.

[14] أ.د عمار لبيد ابراهيم،" **الخليفة العباسي المستنصر بالله (623-644هـ/1226-1242م)، و أهم منجزاته العمرانية**"، مجلة الجامعة العراقية، كلية الآداب، العدد3، المجلد 35 ، 2016، ،ص 460

جاء ذكرها في خلاصة ''الذهب المسبوك''، و ورد ذكرها أيضاً في'' آثار البلاد وأخبار العباد ''وكذلك في ''العسجد المسبوك'' وهي كتب غير موجودة الان. وملخص ما جاء في هذه الكتب: ''انه في ثامن جمادي الآخرة من سنة (633هـ) تكامل بناء الايوان الذي أُنشيء قبالة المدرسة المستنصرية و ركب في صدره صندوق الساعات على وضع عجيب تعرف به اوقات الصلوات و انقضاء الساعات الزمانية نهاراً وليلاً

[15] الإيوان بيت مفتوح الوجه معقود في أعلاه

الجدير بالذكر ان القاعة الثالثة تطل عليها نافذة ربما كانت النافذة التي قيل ان الخليفة كان يجلس بها ليستمع الى

[16] الدروس.

[17] اكتشف بجوار هذه الحجرة خارج المدرسة ما يشبه الحوض ربما كان خزان للماء البارد يتزود منه الحمام و المطبخ و المرافق الصحية.

[18] عبد المنعم حامد عبد علي، تأثير الغزو المغولي على الحياة العلمية في بغداد،656هـ/1258م، ماجستير، جامعة الأنبار كلية الآداب، 2019،،ص-ص: 393-394

كامل حيدر، العمارة العربية الإسلامية نشوء المدارس الإسلامية و خصائصها في العصر العباسي، دار الفكر اللبناني،

[19] بيروت،ط1،1995م،ص 77_78